عودُ الريحاني على العربيَّة

المئويّة الأولى

١٨٩٨ - ١٩٩٨



دار الجديد

عيد الريحاني على العربية

١٨٩٨ ـ ١٩٩٨

عودُ الريحاني على العربيَّة

المئويّة الأولى

١٨٩٨ ـ ١٩٩٨



دار الجديد

فكرة دار الجديد وإنتاجها
بمساهمة
صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

بمثابة احتجاج لهذه الذكرى

عَوْدٌ على مائة

«عدت إلى بلادي وكنت لا أعرف من لغتي وآدابها غير اليسير اليسير»[1]؛ كان ذلك لمائة خلت، وكان للريحاني من العمر اثنان وعشرون عاماً قضى حوالى النصف منها في مسقط رأسه، الفريكة، والنصف الآخر في مهجره الأميركي المبكر. وخلال هذا النصف من حياته لم تثبت قدمُ الفتى في لغة مهجره ذاك فحسب، بل سارت به في دروب من الحياة شتى، فضل بنفسه عن سبيل التجارة الذي ارتضاه له والده، وجرب نفسه في التمثيل المسرحي، وعاش بالجملة، خلال هذه السنوات، ما أغناه أن ينظر إليها، من بعد انقضائها، بعين الندم على شباب لم ينتهز ميعته[2]. وإذ لم يصب الريحاني من النجاح في «التشخيص» ما رجى، انهزم مضطراً إلى الكنف والمتجر الوالديين، غير أن انهزامه إليهما لم يسلمه إلى «عالم البرد والفاتورة» ولا أفلح في كف نفسه الوثابة، أو صرفها عن فضوله فـ «كان يرجع، عادة، من متجره حوالى الساعة السادسة مساء [و] يكب على المطالعة في وحدة مطلقة». وإلى المطالعة «كان يلوذ بالقلم ويدون خواطره [...] مقالات صغيرة [...] لغتها ركيكة لا تعرف للنحو أصولاً ولا للصرف صيغة»[3].

وعلى غرار ما استفرغ الريحاني جهده وقواه عابثاً، استفرغهما جاداً. وليس إلا أن يُطالع المرء ما كتبه من ترجموا له في وصف تلك الليالي التي أحياها في المتجر الوالدي الرطب، مطالعاً مذاكراً، ليتبين أن المتنبي، طبيب النفوس الكبار، لم يعد الملاحظة حين قرر ما تتعبه الأجسام في مراد النفوس الكبار. وهكذا كان عامذاك، ١٨٩٨، عندما غلبه الإرهاق، وغلبت الرطوبة على رئتيه فأشار عليه الطب بالعودة إلى جبله ذي المناخ الجاف[4].

لم تدع للريحاني صحته أن يتخذ من إجادة لغته وآدابها عنواناً لعودته الأولى، ولكن مما لا شك فيه، متغاضين عما أوردناه نقلاً عنه في مستهل هذه الكلمة، - أن اقتصار معارفه من هذه اللغة على ما تلقنه من مبادئها[5] كان يحز

كلمة دار الجديد

بقلم رشا الأمير ولقمان سليم

(١) «عدت إلى بلادي كئيباً يحمل كتاباً، ويرغب في أن يكون الكتاب مئة كتاب وكتاب. وكنت لا أعرف من لغتي وآدابها غير اليسير اليسير، فتغلغلت في سراديبها دون أن أرثي لحالي».
أمين الريحاني، **ملوك العرب**، دار الجيل، د. ت، ص ٦.

(٢) «في بيئة الممثلين، العابثة المحمومة، تأصل المجون في الأمين تأصّلاً غلب على إرادته الطرية فصار يعايش الخليعات ويعب من عطرهن السامّ على غير ارتواء».
جميل جبر، **أمين الريحاني سيرته وأدبه**، منشورات المكتبة العصرية، د. ت، ص ٢٥.

(٣) جميل جبر، ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) جميل جبر، ص ٣١.

(٥) «تحت الزيتونة تلمذ أولاً لخوري الضيعة خادم كنيسة مار مارون وخدم له القداس وقرأ الرسائل والسنكسار... وبعد عامين انتقل إلى مدرسة حديثة أنشأها نعوم المكرزل فدرس فيها مبادئ العربية والفرنسية».
مارون عبود، **أمين الريحاني**، دار المعارف للطباعة والنشر، سلسلة إقرأ ١٣١، مصر ١٩٥٣، ص ٨.



الريحاني الفتى، نيويورك ١٨٩٤.

في نفسه ويحيك فيها ضرورة التمكن منها، لا سيما مع دخوله ميدان «الشأن العام» الثقافي والاجتماعي، وإن مصغراً على هيئة الجالية «اللبنانية» في نيويورك(٦). ولو لم يكن كذلك - أعني: لو لم يكن في صدر الريحاني ما يلحّ عليه من تلقائه أن يصل بينه وبين العربية رحماً مهلهلة لما رأيناه يوم «دخل المدرسة اللبنانية، في قرنة شهوان، يعلم الإنكليزية فيها، ويتعلم العربية من قبيل المقايضة»(٧).

على أنه، لا إسراف في القول إن الريحاني، باستجابته لنداء العربية، لم يفعل تلبية لما ألمحنا إليه من دواع شخصية فقط ولكن تلبية لداعية أعم لولا نزوله وأقران له عند أمرها لحرمت العربية عدةً من أكاليل غارها.

أما ما كان في ما بعد من شأن الريحاني الأستاذ بين «أساتذة النثر العربي»(٨)، فمعروف لا حاجة إلى التذكير به وإنما يعنينا، في ما نحن فيه، أن نقف عند عود الريحاني على العربية بل أن نقف للمناسبة – واستطراداً لصاحبها – محاولين أن نتمعنها، وأن نحاول الاعتبار منها محاذرين الإنزلاق في مهاوي «تصوف لغوي» تتساوى عنده وحدة الوجود والوحدة العربية الكبرى!

فمن يَسُمْ نفسه ألا يغالطها ملجأ على التسليم عن يد صاغرة بأن في جملة الأسباب التي تقف وراء اندحار العربية المطرد ما هانته على ألسنة الناطقين بها، فضلاً عن أقلام الكاتبين. وبعض هوان العربية، إن لم يكن أكثره، يسأل عنه أولئك الناطقون بها، والكاتبون، في سعيهم الحثيث، عن قصد، إلى رفع الكلفة بينهم وبينها، بما يعفيهم من تعلمها، أي من اتخاذها مراداً يرصد له ما يقتضى من نية وجهد ووقت وصبر، أي، بكلام أوضح، من مساواتها باللغات الأخرى التي يجتهدون في اكتسابها.

ولا غرو إن استضعفت العربية هذا الاستضعاف كله؛ فهي، مهما كابرنا، أقل جدوى على لسان أبنائها مادياً

(٦) «وصل الريحاني إلى الولايات المتحدة وهو على أشد ما يكون استياء من أوضاع بلاده التي كانت لا تزال مسرحاً للتنابذ العنصري، إطاره الجهل، فتولدت في ذهنه فكرة إصلاح جذري لا تحققه إلا ثورة جارفة تشمل الروح والعقل والمادة كالثورة الفرنسية التي أخذت تسكره مبادئها. وكانت الحال في سوريا ولبنان قريبة الشبه، عهد ذاك بالحال التي كانت عليها فرنسا قبل سنة ١٧٨٩ فأوحى إليه طموح الشباب أن يلعب دوراً حاسماً يقضي على الرجعية والخمول لتنشأ على أنقاضهما حضارة يفيض فيها دم حار خلاق. ولما كان يعتقد أن سبب الانحطاط الاجتماعي الرئيسي ينحصر في التعصّب والجهل عزم على محاربة هاتين الآفتين بكل ما أوتي من جرأة. وكان أول عمل أقدم عليه إسهامه في جمعية الشباب الماروني في نيويورك».
جميل جبر، ص ٣٦.

(٧) «دخل المدرسة اللبنانية، في قرنة شهوان، يعلم الإنكليزية فيها ويتعلم العربية من قبيل المقايضة. وكان أول ما طالعه في لغة الضاد هناك "نهج البلاغة" و"اللزوميات" ثم "مقامات الهمذاني" و"رسائل الخوارزمي" و"نفح الطيب" و"الأغاني"».
جميل جبر، ص ٣١.

(٨) أمين نخلة، **الأساتذة في النثر العربي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٣.

«عندما واجهت رئيس شركة التشخيص أخذت أفرش له عن التشخيص وعن المدارس وعن جميع ما اشتغله ثم أعطيته مسطرة من شغلي فأخذ هو يطبلّي مثل ما أنا زمرتلّو. لأن التشخيص كما لا يخفاك هو (ضحك على العالم) ولكنه فن عظيم وعندما قرنا الشغل قال عليك أن تدفع ماية ريال كي نأخذك معنا فخرجت من عنده وأخذت أفكر كيف أعمل. وبعد التفكير وجدت أن مئات الريالات تدفع لكي يقدر الإنسان يحصل على شغل أول مرة. حينئذ رجعت إلى البيت وأخذت أفكر وأفكر وما زال يزداد الفكر برأسي لأني تولعت بالتشخيص حتى وجدت الطريقة. ثم افتكرت أني إذا أخبرتك عن ذلك وأنت لا تعلم شيء عن التشخيص ترفض طلبي وهناك البكاء وصرير الأسنان. ففي ليلة سبت قطعت شيكات عديدة للتجار، وقطعت شيك بخمسين ريال باسمي، وقلت على نية الرب وأدخلته بينهم وقدمت الشيكات إليك لتمضيها، فمضيته مع الشيكات فأخذته لمدير الشركة وطلبت منه أن يرضى بخمسين ريال فرفض القيمة. وبعد المباحثة الكلية قبل بثمانين ريال فقلت لحالي: الله يطرد الشيطان، ابتديت يا صبي كمّل فرجعت بعد ثلاثة أيام وعملت تماماً ما عملته قبلاً وأخذت له شيك بثلاثين ريال ممضي منك أيضاً وهكذا تمت المسألة. والآن ما لي منك ألا أطلب الغفران وأن ترضى عليّ وتتمنى لي النجاح».

من أمين إلى والده، «عن كنساس سيتي، ٤ حزيران سنة ١٨٩٦»، **الرسائل**، ص ٥٦٥.



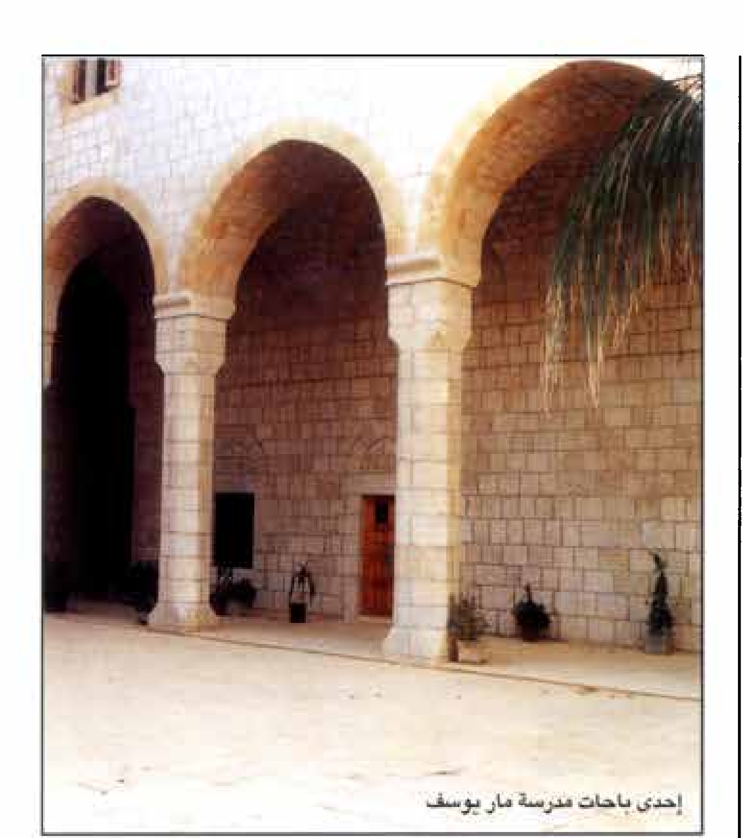
الأمين ووالده فارس، نيويورك ١٩٠٢.

ومعنوياً. وما بنا من حاجة إلى مصداق على ذلك ولا إلى الاعتذار من أنفسنا وعنها بلسان ابن خلدون[9].

على أنه كذلك، وأنه لا حول ولا إلخ...، وأن كل مولود على فطرة العربية يوشك ألا يكون بالخيار في اكتساب لغة ثانية أو ثالثة، على افتراض العربية أولى!، يبقى محل العربية من شتى مرافق حياتنا، ومحلها مما يقبل علينا – ولا مفر لنا منه أو مما نسعى إلى الإقبال عليه – مورد تساؤل وقلق.

من ثم فإحياء هذه الذكرى، (بالتفصيل الممل: ذكرى عود الريحاني على العربية برتبة متعلم لا برتبة أستاذ)، ليس

(٩) «... ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله».
المقدمة، فصل في «أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده».


إحدى باحات مدرسة مار يوسف

تكريماً لمأثرة منسية من مآثر الرجل فقط، بل دعوةٌ إلى التأمل في هذا اليوم من أيام العربية.

رب معترض: أليس الأليق بحق العربية والأشفق بالريحاني أن تقلب النسبة بين عوده والعربية رأساً على عقب، فيقال: «هذا اليوم من أيام الريحاني» وحجة المعترض مفحمةٌ لا تكاد ترد: وماذا يغني عن لغة فضلت على اللغات حتى صار التمكن منها وخدمتها باباً، يا سعد من دخله، من أبواب التقى – ماذا يغني عنها أن «يراودها عن نفسها»[10] فتى «لبناني» مولداً[11]، «مسيحي» ملةً[12]، أميركي مهجراً، يبلغ به الاستهتار أن يستغلي ما تسأله أن يؤديه من مهر إلى أولياء أمرها، من نحويين وصرفيين، فيماكسها فيه ويساوم وما يكاد يفتح له ويلج بيت العربية العتيق حتى يأخذ يشغب على أهله، من ما وراء البحار، منادياً بأعلى لسانه وصوته معاً بآراء تهدم دونما هوادة معتقدات، وتؤسس بثقة لأخرى[13]؟

ليس قولنا يومٌ من أيامها على سبيل المحاجة أو الاستفزاز ولكنه، بالأمر الواقع، كذلك: فشئنا أم أبينا واستكثرنا أن تكون للريحاني يدٌ على العربية أم عرفنا له فضله، معرفة ذويه، فلا محيد من الإقرار بأن

(١٠) «راود أمين لغته عن نفسها فما لانت له في أوائل كتبه (...)».
مارون عبود، ص ٢٠.

(١١) «فهذا الجبل، العربي، لبنان، عدو "الوحدة الصغرى"، حبيب "الوحدة الكبرى" [...]».
أمين نخلة في رثاء الملك فيصل بن الحسين، **كتاب الملوك**، منشورات مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٥٤، ص ٢٦.

(١٢) «[...] إذا كان ذنبي لديكم أني مسيحي [...] فعذري في ملامي أني أكثر إخلاصاً لكم من كثير من المسلمين وأشد غيرة على خير هذه الأمة العربية من كثير من إخواني العرب».
من الريحاني إلى الملك عبد العزيز (١٦ جمادى الثانية ١٣٤٢/ كانون الثاني ١٩٢٤)، **رسائل أمين الريحاني ١٨٩٦ ـ ١٩٤٠**، جمعها وبوبها ألبرت الريحاني، دار الجيل، د. ت، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(١٣) «[...] ولكن أميناً كان يرمي إلى غرض أسمى من التزويق والتنميق ـ كان يعنيه أولاً أن يعبِّر عن فكرة إصلاحية [...] ومع ذلك لم يعن الناس بعبارته لأن فكرته الجريئة شغلتهم عن كل ذلك».
مارون عبود، ص ٢٠ ـ ٢١.

«كان لأمه في نفسه هوى ولا أعمق. فقلما عصاها في أمر أو رد لها طلباً. كانت تسأله أحياناً أن يرافقها إلى الكنيسة المجاورة، أيام الأعياد، فيلبي مشيئتها على غير تردد، يسمع القداس وحتى يتلو رسائل القديس بولس، ويقف خاشعاً متأملاً أمام مذبح العذراء، فيتهامس الحاضرون فيما بينهم حائرين كيف أن «الهرطوقي» الأكبر، منشئ المحالفة الثلاثية، الثائر على الاكليروس والطقوس، يدخل الهيكل المقدس وينحني إجلالاً أمام رب العباد».

جميل جبر، **أمين الريحاني سيرته وأدبه**، ص ٦٩.

الوالدة أنيسة.

توقيع الريحاني في عداد التواقيع المذيلة أدنى هذه الصفحة من سجل العربية – صفحة القرن العشرين.

وما كان هذا ليكون لولا أن الريحاني ألقى ذات يوم بين عينيه عزمه، وأخذ على نفسه أن يتعلم هذه اللغة، أي أن يتدرج في تحصيلها وفي اكتسابها.

كذلك، فمن كان عنده أن الريحاني الذي يكتب خشية بالألف المدودة والفتحتين[١٤] عام ١٨٩٩ هو نفسه الريحاني الذي يكاتب عام ١٩٠٦ أصدقاءه شاكياً لهم ما يكابده في سبيل تحصيل نحو العربية من مشقة وعذاب[١٥] متبرماً من قلة المعين على ذلك[١٦]، هو نفسه الذي يشكر ساخراً لمحمد كرد علي أن أصلح ما تسرب إلى مقالة له من أخطاء لغوية[١٧]، وهو نفسه الريحاني الذي يخشى على الشيخ إبراهيم المنذر أن يقوم من يصلح أغلاطه[١٨] – من كان عنده مثل الذي عندنا هذا، شريك لنا بالنية إن لم يكن بالفعل والمساهمة في الاحتفال بالريحاني، في ذكرى المئوية الأولى على عوده على العربية، شفيعاً لنا نحن الخطأة – خطأة الصرف والنحو، في لغة نأتيها متأخرين ولكن لا نقنط من تعلمها ولو كانت (لغةً) أماً.

(١٤) «أما أنا فكنت مزمعاً أن أخبركم قليلاً عن أحوال السوريين هنا وعن جمعياتهم وجرائدهم وشقاقاتهم [...] ولكن تأخرت عن هذا العمل خشيتاً من أن أطرح عليكم ما لا ترومو أن تسمعوه [...]».
من الريحاني إلى الخوري بطرس شبلي (١٩ كانون الأول ١٨٩٩)، **الرسائل**، ص ٢١.

(١٥) «وحق الصحبة، لا تحملني على مثل هذا، كفاني من النحو مشقة وعذاباً. لقد انتهكت قواي وتمزقت أحشائي بين الكسائي والفراء وسيبويه وابن مالك والمبرد ونفطويه».
من الريحاني إلى محمد كرد علي (١٨ كانون الثاني ١٩٠٦)، **الرسائل**، ص ٧٨ - ٧٩.

(١٦) «وقل لي بالله عليك ألا يوجد في العالم العربي غير «بحث المطالب» وابن عقيل لدرس النحو؟ اهدني إلى كتاب مختصر شامل بسيط».
من الريحاني إلى خليل مطران (١٩٠٦)، **الرسائل**، ص ٧٥.

(١٧) «أشكرك على تصليح عبارتي ولكنني لا أشكرك على تصليح أفكاري. وأين كان ذوقك، يا أخا العرب، ساعة أدخلت فيها تلك العبارة المنحوسة التي تكثر في كتب الصلوات عندنا؟ وأن كاتباً يكره المبتذل يتجنّب مثل عبارة "دهر الداهرين وأبد الآبدين"».
من الريحاني إلى محمد كرد علي، (٣ حزيران ١٩٠٦)، **الرسائل**، ص ٨٧.

(١٨) «أشكر لك هديتك "كتاب المنذر" فقد قرأته وانتفعت ببعض ما أصلحته من أغلاطنا اللغوية. ولكن أخشى أن يقوم لغوي آخر، وما أكثرهم في هذه الأيام، ليصلح أغلاطك وكذلك إلى ما لا نهاية له».
من الريحاني إلى الشيخ إبراهيم المنذر، (١٠ آذار ١٩٢٧)، **الرسائل**، ص ٢٤١.





مولده ونشأته – هو أحد زعماء الحركة الفكرية ودعائم النهضة الأدبية في البلاد العربية. وقد دعته الصحف العربية بفيلسوف الفريكة نسبة إلى مسقط رأسه.

ولد الريحاني في قرية الفريكة (لبنان) في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٨٧٦م، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة قريته وكان المعلم فيها المرحوم نعوم مكرزل.

هجرته – هاجر المترجم مع عمه إلى الولايات المتحدة، وعاش في نيويورك أربع سنوات لم تعرف عائلته عنه شيئاً سوى ما يطمئنها عن صحته، وبعد ذلك لحق به أبوه حيث أسس والده محلاً تجارياً عهد إلى أمين بتدقيق حساباته ومساعدته في البيع، وبالرغم من عمله في النهار فقد داوم على مدرسة ليلية، وتعلّم فيها الإنكليزية، وكان ينتهز الفراغ فيطالع أحياناً في زاوية المحل، فيؤنّبه والده وينصحه بالانتباه إلى العمل، وكم سخر منه قائلاً إنه لا يريده أن يكون فيلسوفاً. ورغم كل ذلك فإنه لا يحب التجارة، وأخذ يكثر من قراءة مؤلفات شكسبير وغيره، ثم دخل مدرسة الحقوق مدة سنة وغادرها إلى البيت ليخبر والده أنه لا يرغب مواصلة دراسة الشريعة، فكان في حياته لا يستقر على حال، إلى أن بدأ في الكتابة فوجد ضالته المنشودة، ومشى يتغلغل في ميدان الأدب، وكانت معرفته الأولى

مؤلفات الرّيحاني العربيّة

المنشورة في حياته

نبذة في الثورة الفرنسية، نيويورك ١٩٠٢
المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية، نيويورك ١٩٠٣
المكاري والكاهن، نيويورك ١٩٠٤
الريحانيات، بيروت ١٩١٠
زنبقة الغور، نيويورك ١٩١٤
ملوك العرب، بيروت ١٩٢٤
النكبات، بيروت ١٩٢٨
تاريخ نجد الحديث، بيروت ١٩٢٨
التطرف والإصلاح، بيروت ١٩٢٨
أنتم الشعراء، بيروت ١٩٣٣
وفاء الزمان، بيروت ١٩٣٤
فيصل الأول، بيروت ١٩٣٤
قلب العراق، بيروت ١٩٣٥

بالعرب بواسطة اللغة الإنكليزية.

عودة الوطن – وعزّ على هذا العبقري أن تنحصر مواهبه في آداب اللغات الغربية، فعاد إلى وطنه ليتعلم لغة أجداده، وكانت تلك بداية أسفاره المتواصلة بين وطنه وبين الولايات المتحدة، وأطال الإقامة في بعضها وكان يحب الفنون، وقد مارس التمثيل زمناً وأجاد فيه.

رحلاته – لقد كان الريحاني أحد الرحالين العرب الحديثين، فقد زار المكسيك هرباً من شتاء نيويورك، ولكن رحلاته المشهورة كانت في بلاد الشرق العربي، فقد زار مصر والحجاز واليمن ونجداً وساحل الخليج الفارسي والعراق وغيرها، وألّف فيها وفي ملوكها الكتب الكثيرة، ولقي من الحفاوة والتقدير ما هو جدير بمواهبه وعبقريته.

وكان يكتب بالإنكليزية كما يكتب بالعربية، وله مقالات قيّمة نشرها في أمهات الجرائد الأميركية، وكتب نفيسة، وقد عرف فيها العالم الغربي الجديد منه والقديم بالعالم العربي ومكارمه وفلسفته، فكان له فضل كبير في نشر الثقافة العربية الحديثة وبث روحها بين أبناء العروبة.

كان شغوفاً بالطبيعة الخلابة، وللقمر تأثير في نفسيته، وبالرغم من كل ما كان يتمتع به من البذخ والإسراف واللهو في نيويورك ما كانت هذه لترضيه فتأسره عن الرجوع إلى الفريكة، وما كانت قريته لتشبع منه هواية الأدب والفن والمدنية فتلهيه عن نيويورك التي أصبحت فيما بعد بغيضة إليه، وقد ربطه الحب وتقاسم قلبه وعقله فشطر حياته إلى شطرين جعل منه رحالة تستهويه الأسفار إلى أن قام برحلته العربية الفريدة التي وضع على أثرها كتابه ملوك العرب.

وفاته – وفي ١٣ أيلول سنة ١٩٤٠م انتقل إلى عالم الخلود في الفريكة.

أمين الريحاني

٣٠١٠ – أمين الرّيحاني

(١٢٩٣ - ١٣٥٩ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٤٠ م)

أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف بن عبد الأحد البجاني، المعروف بالريحاني: أديب، مؤرخ. ولد بالفريكة من أعمال لبنان في ٢٤ تشرين الثاني. وانتقل إلى الولايات المتحدة صغيراً، واشتغل بالتجارة وتعاطى التمثيل، ودرس الحقوق سنة، وعاد إلى وطنه لبنان، ورحل إلى البلاد العربية. وتوفي بالفريكة في ١٣ أيلول. من آثاره: ملوك العرب، التطرف والإصلاح، الريحانيات، أنتم الشعراء، وخارج الحريم.

(ح) فهرس المؤلفين بالظاهرية

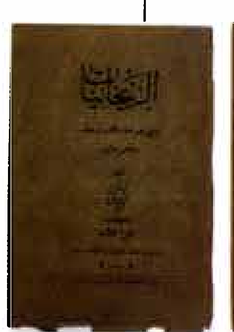
(ط) سركيس: معجم المطبوعات ٩٥٨، ٩٥٩. ألبرت الريحاني: أمين الريحاني. رفائيل بطي: أمين الريحاني في العراق. سعد ميخائيل: آداب العصر في شعراء الشام والعراق ومصر ٩١-٩٦. نوفل: المحتد ٢٢٩. الموسوعة العربية ٣٧٢. جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ١٦٢-١٦٦. سركيس: جامع التصانيف ٣١، ٤٦. الفاخوري: تاريخ الأدب العربي ١١١٧-١١٢٣. سامي الكيالي: الراحلون ١٢١-١٥٢. توفيق الرافعي: أمين الريحاني. اللغة العربية والريحاني. قدري القلعجي: الساهرون ٣٩-٧٤. محمد كرد علي: المذكرات ١: ٢٣٦، ٢٣٧. مقدمة كتاب المغرب الأقصى. فهرس دار الكتب المصرية ٣: ١٧٧، ٢٩٧، ٣٣٥، ٣٤٠، ٤: ٣٤، ٣٥، ٥: ١١٨، ١٦٩، ٣٩٦، ٦: ٤١٤، ٣٦، ٧: ٣٧، ٢٧٩، ٨: ٨٢، ٢٠٠، ٢٠٦. الزركلي: الأعلام ١: ٣٥٩، ٣٦٠. كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية ٩٣-١٠٣. السهاد: شاعر الثورة والريحاني رسول الحرية.

أدهم الجندي، **أعلام الأدب والفن**، (باختصار).

المنشورة بعد وفاته

قلب لبنان، بيروت ١٩٤٧
سجلّ التوبة، القاهرة ١٩٥١
المغرب الأقصى، القاهرة ١٩٥٢
نور الأندلس، القاهرة ١٩٥٢
هتاف الأودية، بيروت ١٩٥٥
القوميات، بيروت ١٩٥٦
وجوه شرقية غربية، بيروت ١٩٥٧
أدب وفن، بيروت ١٩٥٧
رسائل أمين الريحاني، بيروت ١٩٥٩
بذور للزارعين، بيروت ١٩٦١
شذرات من عهد الصبا، بيروت ١٩٨٠
قصتي مع مي، بيروت ١٩٨٠
وصيتي، بيروت ١٩٨٢





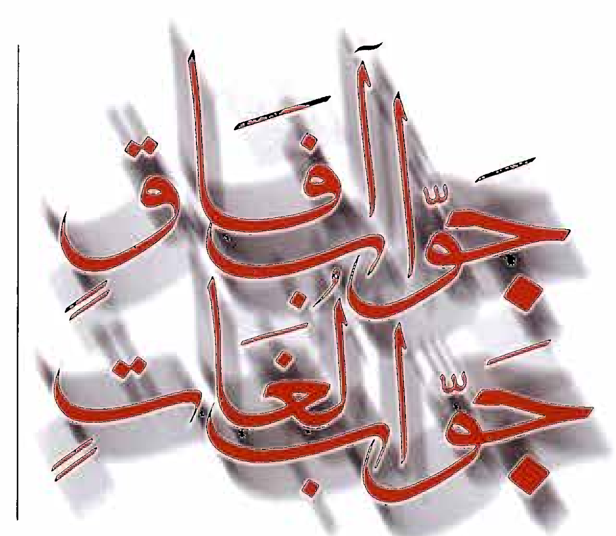
كان الاعتماد في وضع قائمة المؤلفات هذه على موقع الريحاني على شبكة الانترنت:
http://www.ameenrihani.org/



«ها قد قابلت أمراء العرب كلهم فما وجدت فيهم أكبر من هذا الرجل. لست مجازفاً أو مبالغاً في ما أقول. فهو حقاً كبير: كبير في مصافحته، وفي ابتسامته، وفي كلامه، وفي نظراته، وفي ضربه الأرض بعصاه. يفصح في أول جلسة عن فكره ولا يخشى أحداً من الناس. بل يفشي سره، وما أشرف السر، سر رجل يعرف نفسه، ويثق بعد الله بنفسه. «حنّا العرب»؛ إن الرجل فيه أكبر من السلطان. وقد ساد قومه ولا شك بالمكارم لا بالألقاب. جئت ابن سعود والقلب فارغ من البغض ومن الحب كما قلت له. فلا رأي الإنكليز، ولا رأي الحجاز، ولا الثناء، ولا المطاعن أثَّرت في. وها قد ملأ القلب، ملأه حباً في أول جلسة جلسناها على أن الحب قد لا يكون مقروناً دائماً بالإعجاب، سنرى. قد عاهدته على أن أكلمه بصراحة وحرية. وسأكون في ما أكتب كذلك حراً صريحاً... ولكنني أحسن شيئاً من الفراسة، وصرت أركن إلى ما تشعر به النفس في المقابلة الأولى، فضلاً عما عندي الآن من أخبار الملوك للمقابلة والتفضيل... إني سعيد لأني زرت ابن سعود بعد أن زرتهم كلهم. هو حقاً مسك الختام».

أمين الريحاني

ملوك العرب، دار الجيل، د. ت، ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥.



بقلم صاحب السمو الملكي
الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

الحديث عن أمين الريحاني متشعب لتعدد جوانبه ومواهبه، حيث كان قوي الإرادة، ماضي العزيمة لا تثنيه عن هدفه الصعوبات، وفي سبيله لم يبال بالمخاطر، أو تقعد همته الحياة المدنية التي عاش معطياتها الفكرية، وعزف عن مادياتها، وما توفره من متع، وراحة بدنية.

تجاوزت رغبته للتعرف على أحوال أمته العربية التي لم يكن يعرف عنها حين مغادرته لبنان وهو في الثانية عشرة إلى مهجر أسرته الأميركي غير ما كانت تُسمعه الأمهات لأولادهن عن البدوي، وحتى بعدما شب بالولايات المتحدة، وطالع بالإنكليزية شيئاً من التاريخ العربي، واستوقفته عظمته في المدينة، ودمشق، وبغداد، والقاهرة وإسبانيا، والتبحر باللغة العربية نحواً، وصرفاً، وبلاغة، وأحاط بآدابها، وعلومها، وقادتها، وعلمائها، ومفكريها، وأبحر بحضارة قومه، ورافقهم من خلال ما كتبه الرحالة الأجانب بمختلف اللغات، وما آلت إليه أوضاعهم من تخلف، وفقر، وفرقة تجاوزت رغبته بعد أن تحول حبه لشغف، وإعجابه لزهو أن يتعرف على أحوال قومه القائمة عن قرب، فقام برحلات غامر فيها بحياته، وضحى بمصالحه، بوقت كانت فيه المواصلات غاية في الصعوبة، والطرق محفوفة بالخطورة، والاستعمار الأوروبي يعتم، فتشح المعلومات.

كان فيلسوفاً واسع الاطلاع، غزير الثقافة، عالماً بالتاريخ، وسياسات الأمم، وكل الحضارات، وفناناً رصدت ريشته أعماق الشخصيات التي التقى بها، وأديباً جمال أسلوبه يزيده سحراً تصويره الفوتوغرافي لما يكتب عنه، وشاعراً كان له قصب السبق بتأسيس قصيدة النثر في الأدب العربي...

أما أمين الريحاني الرحالة فلا يقتصر دوره على الريادة كأول عربي طاف وطنه العربي من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وسجل انطباعاته عن ملوكه وأمرائه، وشعوبه، وبيئاته الطبيعية، وأوضاعه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، لأنه زاد على ذلك في أن توغل بوعيه الناضج، وخلفيته الفكرية الثرية بحاضره، وسجّل بدقة ما يعانيه، وشخّص الأدواء، وأبان المشكلات، وطرح أسئلة مهمة جداً، وأبدى رأيه بجرأة وصراحة بالقادة الذين قابلهم، وشارك بصنع بعض الأحداث نظراً لخبرته، والثقة به...

إن جولات الريحاني في الجزيرة العربية كانت الأصعب، والأكثر خطورة وتعقيداً، وأيضاً أهمية، لكون الرحلة إليها كانت

تتطلب استعداداً مضاعفاً لافتقارها لوسائط النقل الحديثة، ووعورة المسالك، وتباعد المسافات، وندرة الاستراحات بين مناطقها، وقسوة مناخها، واستبداد القبائل ببعض جهاتها، وانعدام وسائل الحضارة فيها، وما كان من عداوات بين حكامها، وانقسام سكانها، وقعود مفهوماتهم، وللسياج الذي ضربه الاستعمار حولها، فضلاً على أن الريحاني لا يقنعه الوقوف على العموميات وما يلاحظه في المدن، وإنما كان يجوب الصحارى، ويجول في القرى والهجر، والدساكر، والسواحل والجبال...

أفرغ الريحاني رحلاته بجزيرة العرب في كتابين لا غنى لباحث في شؤونها عنهما، فإضافة للمراجع والأسانيد والمصادر العربية والغربية، ومعاينة المواضع، ومشاهدة ما لم يرد ذكره في الكتب، قابل صناع الأحداث، وخبراء الجزيرة، ومسؤولين من عرب وأجانب، ودقّق ولاحظ ونبّه، والكتابان هما: **ملوك العرب** الذي فرغ من كتابته بقريته اللبنانية العام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، ويقع بجزأين تحدث فيهما عن كل مناطق الجزيرة العربية من جميع النواحي، وعن الاستعمار، والصراع الدولي، والملوك والأمراء، والمندوبين السامين، ومواقف وآراء كل منهم، إضافة إلى ما كتبه بالإنكليزية في العديد من الدوريات، وكتاب: *Ibn Saoud of Arabia: his People and his Land.*

في هذا الكتاب سجّل رحلته الأولى للجزيرة، وأثناءها لم يكن الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود قد أتم مشروعه الوحدوي، وكان لقبه «سلطان نجد وملحقاته»؛ لأنه قام بها عام ١٩٢٢م، والوحدة تحققت بعد عامين من هذا التاريخ، وفيها نشأت صداقة متينة بين الملك والريحاني، وتضاعف إعجابه بالملك الفارس، وانبهر بشخصيته، ومما كتبه عنه[١]: «... جئت ابن سعود والقلب فارغ من البغض، ومن الحب.. فلا رأي الإنكليز، ولا رأي الحجاز، ولا الثناء، ولا المطاعن أثّرت في، وها قد ملأ القلب، ملأه حباً في أول جلسة جلسناها. على أن الحب قد لا يكون مقروناً دائماً بالإعجاب. سنرى. قد عاهدته على أن أكلمه بصراحة وحرية، وسأكون في ما أكتب كذلك حراً صريحاً... ولكنني أُحسن شيئاً من الفراسة، وصرت أركن إلى ما تشعر به النفس في المقابلة الأولى، فضلاً عما عندي الآن من أخبار الملوك للمقابلة والتفضيل. إني سعيد الآن لأني زرت ابن سعود بعد أن زرتهم كلهم، هو حقاً مسك الختام».

الكتاب الثاني ألّفه بعد انبهاره بشخصية الملك عبد العزيز زعيماً فذاً، وملكاً مصلحاً، وإنساناً رحيماً، وفارساً مغواراً، وقد أحب فيه سمو تواضعه، وعفوه عند المقدرة، وثباته على المواقف. وشدّه ما حققه بجزيرة العرب التي لم تشهد استقراراً، ويستتب بها الأمن، ويعمّها الإصلاح إلا بعهده...

هذا الكتاب هو **تاريخ نجد الحديث وسيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، ملك نجد والحجاز وملحقاتهما** الذي انتهى منه قبل إعلان اسم المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م)، وبه ذابت المسميات

(١) **ملوك العرب**، ص٥٢٥، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، د.ت.

(٢) **تاريخ نجد**، ص ٨ - ٩، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

(٣) كان الانتهاء من الكتاب بنهاية النصف الأول من القرن الهجري الماضي، الموافق ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧م.



المغفور له الملك عبد العزيز متوسطاً الريحاني (باللباس العربي) والسير بيرسي كوكس، المقيم السياسي البريطاني في العراق.

الجغرافية، وتحقق الاندماج بين مختلف المناطق التي تكونت منها، وثبتت قواعد الدولة، وبعد عام سُمّي ولي العهد...

تقدمة الكتاب عبارة عن إهداء في صفحتين للملك عبد العزيز، اخترنا منه الآتي[٢]: «... ولّت الألف والثلاثمئة سنة[٣] وهؤلاء العرب لا يزالون، كما كانوا وما غيّر الزمن شيئاً في أحوالهم المدنية أو بالحري البدوية، ولا عمل فيهم عامل من عوامل التطور الاجتماعي... حتى كتب لهم بعمر ثان بعث إليهم بعبد العزيز ابن سعود ليجمع شملهم، ويوحد مقاصدهم، ويعزز جانبهم، ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم وهو فيهم، وهو لهم...».

الحقيقة أن بيئة الجزيرة العربية كانت طاردة قبل تخصيب تربتها بالمكننة، وتوفير المياه بالآبار الأرتوازية، وتحلية مياه البحر، وتقريب المسافات المتباعدة بالطرق السريعة، والخطوط الجوية والحديدية والبحرية المنتظمة، وتلطيف مناخها بالوسائل الحديثة من أجهزة تكييف، ومساحات خضراء، وبحيرات اصطناعية.

كانت الجزيرة العربية طوال تاريخها، حتى إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، مهملة غير ذات قيمة، يتقاتل أهلها على التوافه، ويعيث بها قطّاع الطرق، وطريدو العدالة، ولا ينظر إليها كجزء من الأمبراطورية العربية الإسلامية سوى المدينتين المقدستين اللتين حرص الخلفاء عليهما تقرباً للناس، وبهدف إسكات سكانهما عن المطالبة بعودة الخلافة للحجاز الذي لم تكن أنحاؤه الأخرى أحسن حالاً من بقية أنحاء الجزيرة العربية التي لم ترع كمهبط للوحي، ومهد للعرب قبل الملك عبد العزيز، ولفترات لم تطل في الدورين الأول والثاني للدولة السعودية التي ثبتت بدورها الثالث أمناً، ورخاء، وقوة، ونمواً...

لقد كان الريحاني صاحب رؤية بصيرة، ونظرة بعيدة، ورأي حر، وفكر استشرافي، لا يتحول عن قناعاته أمام المغريات، ويملك القدرة على مواجهة التحديات، وصاحب قضية ناضل في سبيلها بقلمه، وبعمله وجهده وفكره وعلمه، وفي صداقاته لصناع القرار، وبتقدير ومحبة كل الذين عرفوه.



الريحاني
وحقوق الإنسان

أمين الريحاني له عندي، بمواقف الحرّيّة، مقامٌ أفرج.

إنّه رمزٌ من أشجع فرسانها في الشرقَين الأدنى والأوسط، وسفيرٌ من أشهر سفرائها في عشرات البلدان التي تُقرأ فيها كتاباته.

لو قدّر للريحاني أن يتقرّى أحوال الحرّيّة في يومها هذا، من الخليج إلى أبيضنا المتوسّط إلى المحيط، فقام يبحث عن إنسانها وحقوقه ليس يُغفل واجباته، لما أصاب، هنا وثمّة، الشيء الكثير، فلم يَعُدْ من حيث أتى إلّا بعدَ ما هبّ يجدّد الدعوة إلى منطق الثورة التي تُعتِق من الحكم الذي يسترق.

كانت الحرّيّة أروع مؤلّفات الريحاني.

خليل رامز سركيس

هكذا كانت المدرسة

تأسست «مدرسة القديس يوسف اللبنانية» حوالى العام ١٨٧٢ أيام أسقفية المطران يوسف جعجع الذي كان راعياً لأبرشية قبرص المارونية من سنة ١٨٤٤ إلى حين وافته المنيّة سنة ١٨٨٢. وقد اقتصرت يومها على قسم من الطابق السفلي الذي بناه المطران جعجع سنة ١٨٧٠، وما إن استلم خلفه المطران يوسف الزغبي (١٨٨٣ - ١٨٩٠) كرسي الأبرشية حتى «أكمل المدرسة الداخلية التي بدأها المطران جعجع وأتم الطابق السفلي بكامله وشيد الطابق العلوي. وازدهرت المدرسة في أيامه واحتشد بها التلامذة من كل النواحي» (**تاريخ أبرشية قبرص المارونية**، ١٩٥٠، ص ٦٣٠)، وقد جاء في سجلات المدرسة أن عدد التلامذة كان يتجاوز المئتين أحياناً، واستمرت المدرسة بنموها إلى حين حولها المطران بولس عواد مدرسة إكليريكية في أواخر العام ١٩١٣، وبقيت كذلك حتى العام ١٩١٩، علماً أنّها أغلقت أبوابها لبعض الوقت خلال الحرب العالمية الأولى لتعود فتغلقها نهائياً مع بداية الحرب العالمية الثانية، بعد أن باءت عدة محاولات لترميمها وإعادة فتحها بالفشل.



بعد أن تولّى سيادة المطران الياس فرح أسقفية الأبرشية في العام ١٩٥٤، انكب على ترميم المدرسة مضيفاً إليها أبنية جديدة وعاقداً العزم على إعادة فتح المدرسة من جديد ولكن بحلة ونهج جديدين. وقد أتم هذا فعلاً إذ إنه، بالتعاون مع فريق عمل مختبر وكفؤ، ومع جمعية الأخوة المريميين في دايتون، أوهايو (الولايات المتحدة الأميركية)، وبغية توفير مدرسة تتبع النهج الأنكلوسكسوني لأبناء الكنيسة، افتتح المطران الياس فرح مدرسة مار يوسف – قرنة شهوان في بدء العام الدراسي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ليفتح بذلك عهداً جديداً تسلك فيه المدرسة خطّ الازدهار والتقدم على كافة المستويات. وإنه لمن المهم القول إن مدرسة مار يوسف، قرنة شهوان، أصبحت المدرسة الكاثوليكية الأولى التي اتّبعت النهج الأنكلوسكسوني في التربية. وقد استطاع طلابها تحقيق النجاحات المميزة إن على الصعيد الوطني وإن في جامعات العالم.

كتب هذا التعريف، مشكوراً، الأب سيمون فضول.

أمين الريحاني: إليكَ من مدرستك

بقلم الأب سيمون فضول

رئيس مدرسة ماريوسف - قرنة شهوان

وأنا أبحث في الملفات القديمة، استوقفني مدى الأهمية التي كانت لـ«مدرسة مار يوسف اللبنانية»، كما كانت تسمى سابقاً، في تنشئة أجيال لبنان وخاصة في منطقة المتن الشمالي، وتوقّفت عند التحاق أمين الريحاني بهذه المدرسة حيث تعلّم العربيّة وعلّم الإنكليزية، ونشأت بينه وبين طلاّبها ومعلّميها صداقة استمرّت معه حتى النهاية.

خرجت إلى الباحة الخارجية ورحت أتأمّل السنديانة العملاقة وعمرها يتخطّى المئات من السنين، هناك تخيلت الريحاني يستلهم الطبيعة ويمتلىء من جمالها ليكتب لاحقاً عنها وفيها. وإذ كان كتابه قلب لبنان بين يدي، وقعتُ على الفصل الأول فيه وعنوانه: «نظرة إلى الماضي»، يكتب في بداية الفصل: «في العود إلى الماضي ترويح للنفس وتبريح. نذكر بعض ما مضى من الحياة، فننتعش وننكمش، ونبتسم ونكتئب، ثمّ نحمد الله أننا نستطيع أن نحيي بالذكرى ما كان، ونحمد الله أن ما كان لا يعود». على ضوء ما قرأت رحتُ أتساءل: هل في عوده إلى ماضيه هنا في مدرستنا، مدرسة مار يوسف - قرنة شهوان ترويح للنفس أم تبريح؟ هل إن الأيام التي قضاها هنا جلبت له السعادة والسلام الداخليّ إلى جانب المعارف اللغويّة وفصاحة التعبير؟ مائة عام مضت على دخوله هذه المدرسة، ومائة عام من التاريخ كُتبَ والريحاني طبعَه بخاتمه. نذكره اليوم ونبتسم ونفخر لأنّه من عندنا انطلق وللأمة كلّها ترك إرثه الأدبي. نذكره اليوم ونحمد الله أننا نستطيع إعادة ما كان، ليس بالذكرى فحسب، بل من خلال عطاءاته الفكريّة، وفي ذكراه نحمد الله مثله على أن ما كان لا يعود إذ يترك المجال للأفضل بأن يتحقّق، وللأجيال الطالعة أن تغرف من نبع الريحاني لتواصل مسيرة العطاء الأدبي.

فتحية إكبار لك يا أديب مدرسة مار يوسف، أديب لبنان، وسلام من الطلاّب والمعلمين الذين من ذكراك ينهلون إلهاماً. تحيّة لك ونحن من شذراتك، **بذور للزارعين** نستوحي ليأتي زرعنا بالثمار، وثماراً طيّبة تكون.

إن المعلم والطالب هما أخوان رفيقان. فإذا أطلق المعلم النفس من تقاليدها العقيمة، والعقل من قيوده القديمة، فإنه يحبب الطلاب إليه، ويسهل على نفسه معاملتهم كأصدقاء، بل كأخوان، فلا يغلظ لهم، ولا يتحكم في أمورهم. هو العالم المعلم. فإذا فرض هذه الحقيقة على طلابه فرضاً سخروا منه. أما إذا تواضع فأهملها فهم، ولا ريب، يكتشفونها ويكبرونها.

أمين ريحاني



الريحاني والفرس نورة، إحدى هدايا الملك عبد العزيز إليه





«وجه كأنه وجه الفرزدق، وعينان كحمامتين تجثمان على بركان فائر، وأنف بين أنف ابن حرب وأنف بلقيس، وفم صارم كأنه باب السجن. أذنان كمروحتين صغيرتين، وجبهة كأنها مرج ابن عامر، هذا خلقه، أما خلقه فلا يسف في حديثه ولا يتزمت، هو بين بين في معاشرة الناس، لا يفتح الزجاجة فيفوح المسك والعنبر، ولا يسدها سداً هرمسياً».

مارون عبود، **أمين الريحاني**، ص ٤٥.

الريحاني بريشة جاكو رستكيان.



ذلك العام في لبنان

بقلم السفير فؤاد الترك

كان ذلك عام ١٨٩٨، قبل مئة عام.

وكان الريحاني التحق في نيويورك (١٨٩٧) بمدرسة ليلية تحضيراً لدرس الحقوق كي يهيىء نفسه لدخول الجامعة. وفي مطلع العام الدراسي ١٨٩٧ - ١٨٩٨ دخل معهد الحقوق في نيويورك، فاجتاز الامتحان بنجاح، وباشر السنة الأولى، لكن صحته اعتلّت.، وألمّ به داء العصبي، فأشار عليه الطبيب أن يعود إلى لبنان للاستشفاء في مناخ جبلي جاف.

وهكذا صار، في أواخر ذلك العام (١٨٩٨) عاد إلى لبنان، وسكن الشاوية (الملاصقة للفريكة) عند جدته أم فارس، وما هي حتى التحق بمدرسة مار يوسف (التابعة لأبرشية قبرص المارونية) في قرنة شهوان في المتن، يعلّم الإنكليزية ويتعلم العربية على العلامة الخوري بطرس البستاني، كما روى ذلك شقيقه ألبرت[1].

على أن أميناً لم يأت إلى لبنان يدرس العربية في ذلك العام، كما عاد إليه جبران في العام نفسه (١٨٩٨ – وأية مصادفة!) يدرس العربية في معهد الحكمة. ففي حين عاد جبران إلى بيروت بعد أقل من ثلاثة أعوام على مغادرته لبنان (١٨٩٥)، وهو بغير تجربة ذات بال، عاد الريحاني إلى بيروت (١٨٩٨) بعد عشر سنوات على مغادرتها، وبعدما اكتسب في نيويورك تجربة حياتية وأدبية وفنية، ودرس في مانهاتن مبادىء الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا، وساعد أباه في متجره (مسك الدفاتر والمراسلات التجارية) وانصرف إلى مطالعة كثيفة، واختبر مجتمع الحضارة الآلية في نيويورك، وطالع كبار المبدعين (شكسبير، بايرون، هوميروس، سبنسر، داروين) وتشبع من عطاءاتهم، حتى ليمكن القول إن فكر الريحاني سبق لغته العربية إلى قلمه، وتالياً، فهو تعمق في مطالعاته بالإنكليزية، ولو لم يعبر عنها كتابة بعد بالشكل المحترف، لأنه كان موزعاً بين العمل التجاري المضني نهاراً في متجر أبيه، وبين مطالعاته الجدية المرهقة ليلاً، وغالباً بالسر، لأن والده لم يكن مرتاحاً إلى اهتمامات أمين المتزايدة بالدرس والمطالعة، وكثيراً ما حاول إقناعه بأن ذلك لا يطعم خبزاً، وبأنه لم يهاجر إلى أميركا ويصحبه معه ليجعل منه فيلسوفاً، فهو يريد لابنه مستقبلاً تجارياً ناجحاً يؤمن له ثروة مادية وبحبوحة عيش، لكن ذلك الموقف المتشدد من الوالد لم يُثنِ أميناً عن تحقيق مبتغاه وإشباع رغبته في الاطلاع على الآداب الغربية.

وإلى الرغبة في الاطّلاع، أشبع أمين رغبته الأخرى في التمثيل، هو الذي اطلع على المسرح الإغريقي والشكسبيري، ودفعه نجاحه في القيام بتمثيل بعض المسرحيات،

إلى التفكير جدياً باحتراف التمثيل رغم معارضة والده، وكذلك تعاطى الرسم.
في حقبة الدراسة تلك، كان من أصدقائه الخوري بطرس شبلي الذي حافظ معه لاحقاً على مراسلة متصلة.
وتلك السنة الدراسية في قرنة شهوان (١٨٩٨ - ١٨٩٩)، على ما يذكر الناقد أمين ألبرت الريحاني[٢]، كانت «حافلة بالنشاط الفكري تدويناً ومطالعة»، ومن نشاطه عامئذ غير الدراسة الصيفية: خطب بالإنكليزية حول التقدم والتربية والنمو، رسائل إلى نعوم مكرزل، مقالان بالإنكليزية عن التمثيل والحرية، بحث بالإنكليزية حول الأدب الإنكليزي، ومسرحية بالعربية اقتبسها بتصرف عن فيكتور هوغو.
وإلى تعلّمه العربية، غاص على تراثها، فقرأ البهاء زهيراً، وطالع دراسة للأب شيخو عن ابن العبري وعاد إلى رسائل أبي العلاء بتحقيق مارغليوث.
وبعد عام من النقاهة والاطّلاع، أنهى الريحاني سنته الدراسية في قرنة شهوان، وحزم أمره وثقافته وأحلامه،

(١) ألبرت الريحاني، **أين تجد أمين الريحاني**، (دراسة ببيليوغرافية)، بيروت ١٩٧٩.

(٢) أمين ألبرت الريحاني، **أمين الريحاني: فيلسوف الفريكة، صاحب المدينة العظمى**، بيروت ١٩٨٧.

هيا على التساهل

«التساهل هو التسامح بوجود ما يخالفك وهذا تحديد عام. أما الخاص فهو إجازة العقائد والطقوس الدينية التي تخالف العقائد والطقوس المألوفة. وهذا تحديد لا يطابق حالتنا ولا يوافق الظروف الحاضرة. فإليكم بتحديد يأتي بالمراد: التساهل الديني هو الاعتبار والاحترام الواجب علينا إظهارهما نحو المذاهب المتمسك بها آخرون من أبناء جنسنا ولو كانت هذه المذاهب مناقضة لمذاهبنا.

التساهل غير مطلوب في الأمور الدينية وحدها بل في كل الأمور التي تطرأ على عقول البشر ويعمل بها الكبار والصغار.

●

ألله لا يفضل أمة ولا طائفة على أخرى. ألله لم يصطف له في الأرض شعباً خاصاً. ويخطئ من يفهم أن الله اختار الاسرائيليين ليعضدهم ويهديهم دون غيرهم. فلو كان هذا المفهوم لبقيت عجائبه فيهم بعد مجيء المسيح أيضاً. ولكن عدل الله أرفع من أن يحصر خلاصه بذرية دون غيرها. ولذلك قال: اذهبوا وبشروا كل الأمم. إن من سار حسب الشرائع الطبيعية فعمل الخير وابتعد عن الشر كما يرشده عقله، ولو لم يتوصل إلى معرفة الدين الحقيقي، فإنه لا يهلك. لأن الله رؤوف ورأفته لا منتهى لها. وما الدين التوحيدي إلا دين واحد فكلنا نتحد بالرب وكلنا نعبد إلهاً واحداً.

قلت إن التساهل مبني على الخلاف وقد يكون هو الذي أوصل الشكيين إلى الريبة في كل شيء، فقالوا عن كل أمر «لا ندري» وهم اللاأدرية، لأنهم يقولون لا ندري عما هو حقيقة مدركة، لا لأنهم

وعاد إلى نيويورك.

وهناك، إلى عودته في العمل مع أبيه في المتجر، ومستفيداً من تزوده عاماً كاملاً بالعربية، بدأ رحلته الأدبية الاحترافية بالعربية، فأخذ يكتب مقالاته الأولى[٣] في نيويورك، لـ **الهدى** (وكانت له فيها زاوية أسبوعية بعنوان «كشكول الخواطر»)، و**الإصلاح**، و**الحقيقة**، و**المهاجر**، و**مرآة الغرب**، و**الأيام**، وفي ساو باولو **المناظر** وسواها من الصحف والمجلات، حتى بدأ اسمه يشع ومكانته الأدبية تتضح.

ولم يطل به الأمر بعد عودته من لبنان، حتى ألقى خطابه الشهير بالعربية عن التساهل الديني عام ١٩٠٠ في بروكلن - نيويورك فاشتهر خطيباً كذلك وانطلق نهائياً صوب الاحتراف.

عام واحد قضاه في بيروت، يتعمق من لغته الأم، كان كافياً ليوقّد ذكاءه الخارق، نحو حياة أدبية حافلة بالنتاج الغزير.

كان ذلك عام ١٨٩٨.

كان ذلك منذ مئة عام.

(٣) أمين الريحاني، **شذرات من عهد الصبا**، تحقيق أمين ألبرت الريحاني، بيروت ١٩٨٠.

يقرون بقصورهم عن إدراك مسائل شتى، بل لأن العلماء والحكماء يفتخرون بقولهم لا ندري جواباً عن المسائل التي تفوق مداركهم والكنوه الإلهية التي يعجز عن تحديدها العقل البشري. فَلِمَ نتعصب ما دمنا نتذبذب من ضعفنا عن تفهم أمور دينية كثيرة لم يصل العقل إليها؟ من قال لا أدري جواباً عن مسألة لا علم له بها فقد برهن عن صحة عقله، وحسن رأيه وعمق حكمته وثاقب فطنته وسلامة ذوقه.

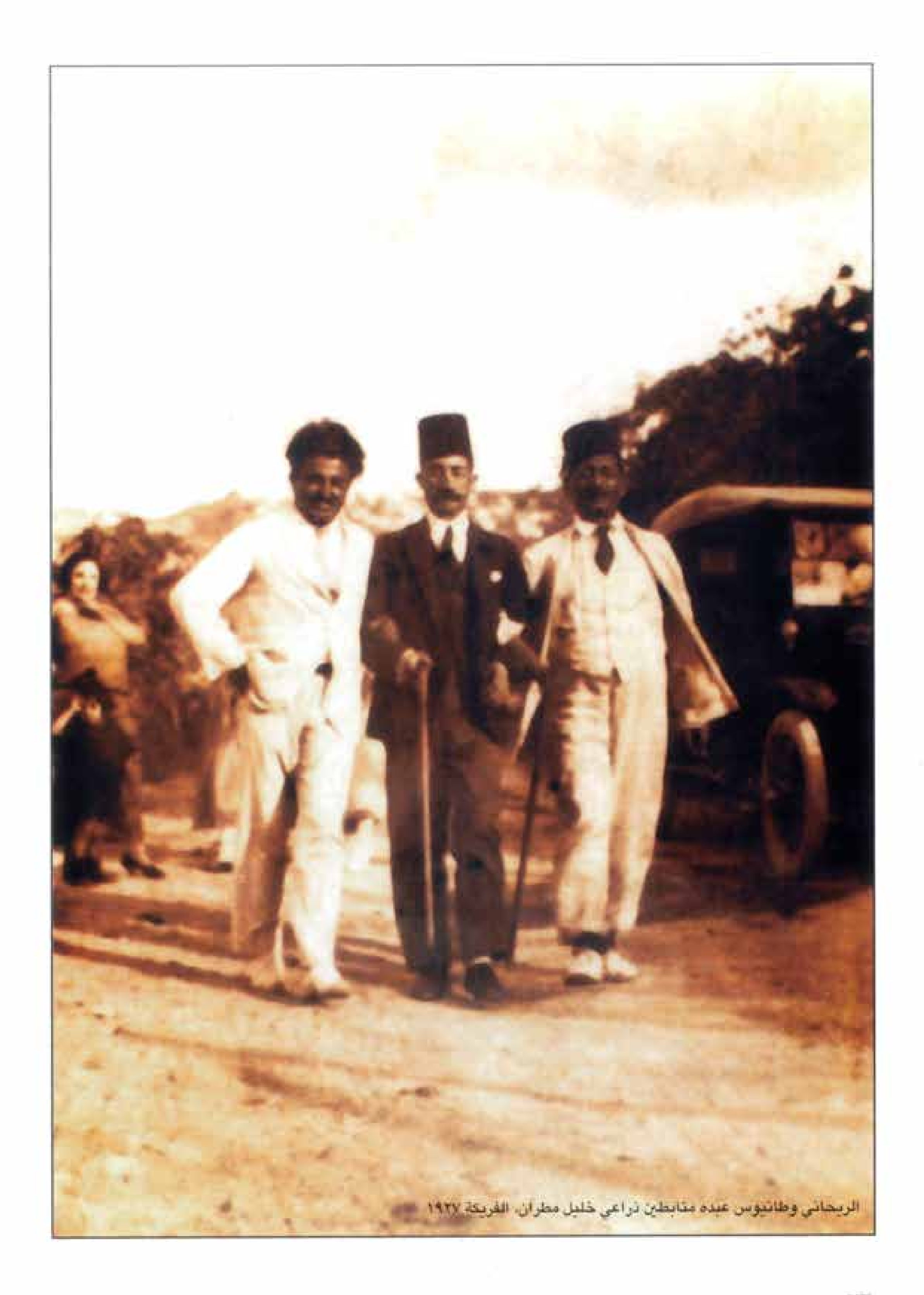
فلنتساهل إذن في الدين إذ إننا لا ندري. والذي يدعي المعرفة هو الذي لا يدري أنه لا يدري. فليبق كل على دينه إذا دله عقله على صحته بعد التنور الكافي والترفع عن الأهواء. ولا ينتظرن أحد رؤية دين واحد مقبولاً عند الجميع كما يرى الحقائق الرياضية والعلمية مثلاً. ولتجمعنا الوطنية إذا فرقنا الدين. الله لا يريد التفريق.

●

التساهل هو الطريق وهو الحق وهو الحياة وهو روح الله. هو أول درجة في سلم العمران وآخرها. هو الألف وهو الياء. التساهل هو الباب. ومن يدخل فيه لا يهلك. فلندخل فلندخل...

الريحاني في سنترال بارك بنيويورك، ١٩١١

مقتطفات من أول خطاب ألقاه الريحاني (٩ شباط ١٩٠٠)، وقد دعته إلى إلقائه «جمعية الشباب الماروني» النيويوركية. أما عنوان هذا الخطاب الذي دشن «الاصطدام بينه وبين رجال الدين» على قول جميل جبر فكان «التساهل الديني».



الريحاني وطانيوس عبده متأبطين ذراعي خليل مطران، الفريكة ١٩٢٧

عن اللغة الجميلة التي أعطتنا أمين الريحاني

بقلم الأستاذ طلال سلمان

السباق محموم بين الشعوب للخروج من جلادها، ورمي موروثاتها ومكوناتها، سعياً إلى بطاقة انتساب إلى النظام الجديد بمختلف تطبيقاته ذات الغموض الجذّاب.

الكل يسعى جاهداً لأن ينسى نفسه، فينكر ذاته (الأصلية) لعله يتطهر وينال بطاقة صعود إلى «الفلك» الذي سينقذه من طوفان الهوان والذل والدونية، كونه ينتمي إلى «العالم القديم» السائر إلى الاندثار.

الأفراد يرمون أسماءهم العتيقة في المزابل، يمزقون هوياتهم، ينكرون أوطانهم، يتنصلون من أفكارهم القومية المختلفة (التي دمغت الآن بالشوفينية، أما العنصرية فاحتكار لمن اخترعه ومارسه وفرضه سياسة كونية: شعب اللّه المختار).

الأفراد ـ الشعوب أو الشعوب التي صارت أفراداً، آحاداً لا تجتمع وليس لها حاصل جمع، يعرضون الأثواب الداخلية لأمّهاتهم في سهرات الأنس ويضحكون، يمسحون بكوفيات أجدادهم أحذية «السادة» الذين يملكون مفاتيح العصر ويبكون من قهر الوضاعة!

الأفراد ـ الشعوب يهجرون لغاتهم العواقر التي لا تستوعب العلوم الحديثة، والتي يصعب نطقها ويصعب فهمها، ويستحيل على إنسان الفضاء والكومبيوتر والنوويات أن يتعلّم قواعدها وأن يكتب الهمزة بلا خطأ، وكائنة ما كانت حركة ما قبلها...

قُضي الأمر: ثمة لغات شاخت وآن لها أن تموت.

للعصر لغة واحدة، لا غير، وبعض الملحقات التي تتهجن تدريجياً بقدر ما يفترق عنها أهلها حتى لا يفوتهم قطار التقدم.

لا تكابر. لا مجال لأن تدخل دنيا التحولات إن أنت لم تتحول.

تَخَفَّف من ماضيك، ارم صليبك واتبع الإله الجديد الذي لا يقدر على صلبه أحد، بل هو الصالب وصانع المسامير. ارطنْ، ما لك وللفصحى بقرآنها والمعلّقات. ماذا سينفعك الحطيئة وامرؤ القيس وأبو تمام والمتنبي والمعري، وصولاً إلى شوقي والأخطل الصغير وخليل مطران والجواهري وعمر أبو ريشة. ماذا تفعل بـ **نهج البلاغة** و**الأغاني** و**لسان العرب** وكلِّ هذه السفسطات اللغوية التي تأخذك إلى السأم والعبث وتعمق إحساسك بجهلك كلّما أتقنتها.

للعصر لغة واحدة، باب أوحد، فإن أنت لم تعرفها لم تدخله!

●

في المدرسة جعلونا نقرأ قليلاً عن أمين الريحاني، وعرفناه باسم الدلع «فيلسوف الفريكة».

ولقد أخبرونا الكثير عن الفريكة بموقعها الجغرافي الجميل، والقليل القليل عن **ملوك العرب** وسائر ما أبدع قلم أمين الريحاني.

تحدثوا، وكتبوا عنه، كأستاذ كبير، ونسوا أن يبلغونا أهم ما في سيرته.

أخفوا عنا أنه أحد أوائل الذين قاموا



جلوسا (من اليمين إلى اليسار): منير العمادي، إبراهيم بك مجاهد، الريحاني، سامي كيالي؛ وقوفا: الدكتور علي الناصر، محمد سعيد الزعيم، ثابت أفندي غراوي.

بهجرة معاكسة، ليس فقط من العالم الجديد إلى عالمه القديم، بل أيضاً من لغة الابتكارات والاختراعات الحديثة إلى لغة قريش وامرىء القيس والحطيئة والشنفرى والمتنبي و...

وأخفوا عنا الأهم، أن العروبة، أي إحساسه بقوة انتمائه، هي التي جعلته يقوم بهجرته المعاكسة، وكان رائداً في أن يجيء من العروبة إلى اللغة العربية، بينما «القاعدة» أن تأخذك اللغة، بين قيم ومكوِّنات عديدة أخرى، إلى العروبة.

«عدت إلى بلادي كئيباً يحمل كتاباً، ويرغب في أن يكون الكتاب مئة كتاب وكتاب. وكنت لا أعرف من لغتي وآدابها غير اليسير اليسير، فتغلغلت في سراديبها دون أن أرثي لحالي. وبينا أنا أتخبّط في دياجي اللغة عثرت على كتاب شعر أنساني الكسائي وسيبويه وكل من علّم حرفاً في البصرة والكوفة.

«جمعني الله بأبي العلاء المعري بعد أن هداني بواسطة الفيلسوف الإنكليزي إلى الرسول العربي. قرأت "اللزوميات" معجباً بها، ثم قرأتها مترنماً، ورحت أفاخر بأنني من الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحر، الجسور، الحكيم».

قد تختلف الآراء أشد الاختلاف في أمين الريحاني «السياسي»، ودوره في «أرض العرب»، وقد جاءها بجواز سفر أميركي وبمهمة «دبلوماسية» ملتبسة، ولكن الآراء تتفق كلّ الاتفاق على موقعه الاستثنائي ككاتب وأديب، وكواحد من طلائع الصحافيين الأساتذة.

لعل أمين الريحاني هو أول «ريبورتر»

إني لبناني المولد عربي اللسان والقومية. وقد يكون في عروقي دم فينيقي أو كنعاني أو آرامي أو كلداني. فإذا كان قلبي في لبنان، فروحي في البلاد العربية جمعاء. وإني وإن كنت مسيحياً مارونياً، فلي في بقية هذه الأديان والمذاهب، التي تقطع أوصال هذه الأمة، غرض هو أسمى من أغراض تابعيها. أريد أن أرفع من بينها حواجز الشريط الشائك وأفكك فيها قيود التقاليد ليقرب بعضها من بعض. إني أعتقد أن لا حياة للبناني بغير قربه من السوري، وأن لا حياة للسوري بغير قربه من العربي، وأن لا حياة للعرب بغير تقطيع ربقات المذاهب وعصبيات العشائر. وقد مهدت في رحلتي للجزيرة بعض السبيل لهذه الغاية. وأنا أسعى على الدوام في توثيق وتمكين وتعزيز تلك الرابطة الوطنية القومية التي تتلاشى عندها الجنسيات الصغيرة، والعصبيات الصغيرة، والمذهبيات كلها.

أو أول «صحافي» عربي، بالمعنى الحديث للكلمة: لم يسبقه أحد، وكان علينا أن ننتظر طويلاً ليظهر من يكمل دوره أو يقوم عليه.

إنه مزيج فذ من الرسام والراوية والشاعر والمسرحي والمخبر والمصوّر الفوتوغرافي، والمحقّق الذي لا يهمل تفصيلاً ويربط بين الشكل والمضمون وبين الموروث والمطموح إليه.

على أن لغته هي إبداعه الأعظم: فهذا الأمي تقريباً، الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية في الثانية عشرة من عمره، والذي لم يكن يعرف غير اليسير من اللغتين العربية والفرنسية، والذي كان للعربي في ذهنه صورة «البدوي» التي تخيف بها الأمهات أولادها بوصفه البعبع... هذا «الأمي» الذي هجر وطنه وفي صدره الخوف ممن أخذ يتكلم لغتهم، والبغض لمن في عروقه شيء من دمهم، والبغض والخوف هما توأما الجهل...

هذا «الأمي» تقريباً كان عاشقاً عظيماً للغته - الأم.

وبفضل هذا العشق أبدع باللغة التي تعلّمها كبيراً أدباً عظيماً.

لقد ساعده عشقه المكين لهذه اللغة الرقيقة حتى الشفافية، الغنية كما المحيط المحيط، الفسيحة كما السماء، الأبية كما الفارس، ذات الرنين المطرب كما الناي، ذات القوام الأهيف كصبية مراهقة، وذات الأغوار العميقة كصدر مطوي على حب قديم.

ساعده عشقه على استعادة وعيه بذاته، والتعرّف مجدّداً إلى وطنه وأمّته، والتشرّف بالانتماء إليها.

لقد اختار لغته ولم يَرِثْها،

ومن ثم فقد وجد فيها الأم والهوية والانتماء.

بها عرف اسمه، وعرف نفسه،

وكتب فأبدع لأنه يعرف من هو، ولأنه يحب ذاته، ويحب أرضه، ويحب أمته، على الحال التي وجدها عليها.

لم يخجل بها، ولم يهرب منها، ولم يتنصّل.

في الذكرى المئوية لعودته لم ننتبه.

في الذكرى المئوية الأولى لعودته لا بد من تحية للغة الإبداع التي كونته وأعادته إلينا فأغناها وأغنانا،

تحية لأحد رواد الهجرة المعاكسة...

تحيّة لمن أكد أن الانتصار قرار ذاتي، وأن اللغة «القديمة» ليست عائقاً في وجه التقدّم، وأن الاغتراب عن الذات ليس حلاً، وأن الهجانة ضياع وليست انتماء إلى العصر.



الريحاني بين أحمد زكي باشا ومحمد بك المويلحي، مصر ١٩٢٢.

لغات وشؤون

اللغة جسم لا ينمو إلا بالغذاء الجديد وروح لا يعلو أدب عليه ولا يدوم أدب دونه. ولكن الأجسام عرضة للأسقام، وآراء الناس في الأرواح لا تخلو من الأوهام. فاللغة إذن تحتاج إلى رجل الطب حيناً، ورجل الدين أحياناً. أما إمامها فشاعرها وطبيبها فأديبها. وما العمل إذا مرض الأديب وعجز الشاعر؟ اقطع الغصن اليابس ولقح الغصن الطري. تسلم الشجرة فتنمو وتزهر. كذلك فعل دانته في اللغة الإيطالية وشكسبير في اللغة الإنكليزية وفكتور هوغو في اللغة الفرنسية وما هؤلاء بلغويين ولكن اللغوي يتبع الشاعر فينقح كتب اللغة لتشمل ما جاء بها من جديد لفظاً ومعنى.

إني ممن يتعشقون هذه اللغة الشريفة. وإذا كانت الإنكليزية تسابقها أحياناً إلى خيالي وتجلس مكانها في معقولي فهي لا تزال على لساني وفي قلبي وطي أحلامي. ليعذر مني القارئ هذا الإفصاح. فمن العادي الفطري أن يحب المرء لغة أجداده. ولكن لحبي سبباً آخر غير الفطرة فهو ناشئ عن إعجابي بالجميل الخالد من الآداب العربية، وما هو بالقليل إذا قسناه بمثله في لغات الأجانب.

●

كان يوم وكانت «الفرائد الدرية» لي بستاناً و«نهج البلاغة» ميزاناً والمقامات ديواناً وخواناً. وإني لأذكر أول مرة فتحت فيها القاموس فوقع نظري في حرف الخاء على مادة خرج. فقلت: وسفر الخروج، نقرأه في المروج. على أنه وقع بعد ذلك حادث استقام فيه نوعاً أمرنا - أمر هذه اللغة وأمري.

عندما أزمعت هجر ما ألفته من ضروب البلاغة والبيان أقمت والقاموس سنة عددتها من أيام أهل الجنة، فنسيت، فيه خزعبلات الحياة كلها. وأعذب الخزعبلات أبعدها من الأصول. القاموس مستودع قمح فيه من الزوان والحصى والتراب شيء كثير. وقد تزوّدت من بعد الغربلة - «أنا على سفر لا بدّ من زاد» - ما قد لا يكفي في نظر علماء الأزهر - ولكن القناعة كنز لا يفنى.

لست في المفردات الشدياق، ولست في الأوضاع اليازجي ولا أنا من الطامعين بمثل هذا الغنى. ولكني أعلم أن للألفاظ - مثل ما للغة - من التاريخ ما يفيد اللغوي معرفته، وقد يستفيد من الإلمام به بعض الكتاب. وميزة الألفاظ إنما هي فيها، قائمة بنفسها، وقلما تزيدها، لدى الشاعر، صقلاً المعرفة بأصلها وشأن تطورها.

ها هي أمامك في القاموس. اضرب صفحاً عن الوحشي والمستهجن والعقيم والبذيء. وقس الألفاظ بما عندك من حسن سمع وحسن ذوق، فإن للألفاظ ما سوى الرنة والجرس ألواناً أيضاً وروائح في ما دق وشف وتماوج وفاح من معانيها.

●

ليس الكاتب النابغة من كان يبدعياً فقط (اللفظة للأستاذ جبر ضومط)، بل من كان أيضاً حسن الذوق في الفنون الجميلة كلها: في الغناء والموسيقى والشعر والتصوير والنحت. فيستعمل الألفاظ كما يستعمل العواد الأوتار. وينظّم المعاني كما ينظّم الرسام الألوان. ويبني جمله مقالاً كما يبني النحات نصباً أو تمثالاً. ويمزج أدبه وعلمه وخياله كما يمزج صانع العطور عطوره.



إن روح اللغة كامنة أيضاً في حياة أبنائها - أبناء حاضرها وماضيها - وفي تقاليدهم واصطلاحاتهم العامة. والكاتب المتمكن هو من درس هذه التقاليد والاصطلاحات واتخذ منها نمطاً لإنشائه. فيجيء وفيه من المعاني والمباني ما هو جلي حي وقريب من أفهام أبناء زمانه. ومن الخطأ الظن أن كل ما جاء به عرب الجزيرة إنما هو منتهى الفصاحة والبلاغة. وأن استعاراتهم كلها جميلة في كل زمان ومكان.

إني من الخوارج. ولكني أحترم من الماضي ما كان موافقاً الحاضر ومفيداً له، أو ما كان فيه، في الأقل، حقيقة ثابتة أو جمال لا يغيره الزمان ولا ينكره المكان. فلا فائدة في أن نضع لسان قحطان في فم الشامي. أو لسان عدنان في فم المصري. فينطقوا بحرف اللغة ويعبثوا بروحها. بل الفائدة في أن نقتبس من روح اللغة ونتشرب مما لدينا من نفيس آدابها وأوضاعها الجميلة ومما هو حيّ مثمرٌ من استعمالات أبنائها وتقاليدهم.

●

قد كتبت بالإنكليزية أصف جمال الطبيعة في بلادنا كما كتبت في العربية، ولا يختلف أسلوبي في اللغتين إلا في النظر إلى الموضوع من الوجهة التي تُفهم وفي بعض الاستعارات الأدبية والآراء الاجتماعية التي تتخلل ما أكتب. فلكل لغة، كما قلت، روح يجتهد الطامع بالكتابة أن يملكها. وفي هذا الفقير إلى رحمة المعري وشكسبير روحان قضت بهما الولادة والهجرة.

إني، حتى في حبي هذه اللغة، طالب متصوف. فتعذرني ويعذرني المقرّبون منها إذا سرت حول بستانها هائماً، وقد طالما ظننت الجدار الوهاج نهجاً أو ستاراً فسقطت مرات عنده كفراشة تحاول الدخول من شباك زجاج مقفل. على أني تسلقت الجدار مرة لجهلي مكان الباب منه. ولشدة ابتهاجي مما شاهدت سقطت في عليقة تحتي.

وسرت زمناً بين العليق والرياحين في جادة تنتهي عند كل خطوة من خطواتي. أزرع ما قد لا يليق، إذا نوّر، بعرش اللغة زنة أو تقدمة. ولكني أؤمل أن ثباتي في ما هويت وقاسيت يجعلني في الأقل من المقربين. فها يدي ولم تزل دامية وثوبي ولم يزل ممزقاً. ويشهد علي سيبويه أني آثرت يوماً ثمرة طيبة في بساتين الغرباء على زهرة - اللهم ذات أريج - في بستانه وعلى عنقود جميل اللون والشكل، من عليّق علمه. رحمه الله.

●

أمين الريحاني

مقتطفات من «روح اللغة»، **الريحانيات**، دار الجيل، د. ت، ج ٢، ص ٤١٨ - ٤٢٧.



لبنان، ١٩٣٥.

التلميذ الخالد

٢٢ شباط ١٨٩٨ كتب الريحاني أول مقالة له باللغة العربية نشرها في جريدة **الهدى** وكان مقيما في نيويورك. خريف العام ذاته عاد إلى لبنان تسكنه رغبة التمكن من العربية،

بقلم السيدة سوسن الأبطح

ثائراً على حاجته الدائمة لمن يرتق أخطاءه، واحتفاؤنا اليوم بهذا التاريخ المئوي الرمزي لعودة أحد أبناء الضاد الأجلاء إليها دلالة ناصعة على إحساس عميق ومرير بأن لغتنا باتت مهجورة ومنبوذة من أبنائها الذين يملكون قدرة الاستغناء عنها، واستبدالها بأخرى غيرها تفوقها انتشاراً وتبزها قوة وسطوة. ففي زمن التبرؤ التفاخري من لوثة العربية نرى في شغف الريحاني بها، هو الكاتب بالإنكليزية والقاطن نيويورك، حدثاً يستحق وقفة تأمل. إذ ما الذي يدفع بيافع، طموح ومتوثب، أن ينكبّ على كتب الكسائي والفراء وسيبويه وابن مالك والمبرد ونفطويه وأبي العلاء، يحرثها بفضوله ليل نهار ليتأوه متعباً كليلاً، بعد ذلك، وهو يقول: «لقد انتهكت قواي وتمزقت أحشائي». وهل كان الريحاني بحاجة إلى كل هذا الكدّ والشقاء، وقد تيسر له من يتعهد بنشر مقالاته ويعنى بمعالجة علاتها؟

لقد كان الريحاني أذكى من أن يقبل



الريحاني في مكتب شقيقه يوسف، القاهرة ١٩٠٥.

بمعرفة مبتورة، وأنضج من أن يفوت على نفسه فرصة القبض على مفاتيح الكلام بلغته الأصل، هو المناضل أبداً من أجل إنسان متفوق وبشرية مشدودة إلى الكمال.

ليست الغرابة في أن يعود الريحاني إلى العربية عطشاً منهوماً، بل كان من غير المنطقي أن يقبل رجل حريص على موسوعيته وتطلعاته السياسية بلغة ركيكة يخاطب بها جمهور الناس ليحرض ضمائرهم.

كيف لنا أن نتصور أمين الريحاني يدبج مقالاته القومية التحررية الحماسية، أو يلقي خطاباته ضد الاستبداد العثماني وهو عاجز عن الكتابة بلغته القومية.

كيف لنا أن نتصور صاحب الحلم العربي وجليس أمراء العرب وملوكهم، لا يملك أن يكتب لهم رسالة حين يغادرهم من دون الكشف عنها وإطلاع ثالث عليها بغية تقويم عيوبها.

وكيف كان سيلعب دوره المرتجى كهمزة وصل بين الشرق والغرب لولا ترجماته وتنقلاته وأسفاره وقدرته على الترحال بين الإنكليزية والعربية بليونة وخفة.

أسرار كثيرة ما تزال تحيط بحياة أمين الريحاني وطبيعة علاقاته مع رؤساء دول كبار وأمراء وملوك ومسؤولين سياسيين، لكن صلته بالعربية هي من الشفافية بحيث يمكن فهمها ضمن عقدة النقص الرائعة التي تمتع بها الرجل. عقدة الإحساس الدائم بالجهل والقصور، وسعيه الدائب لتنمية مداركه روحاً، وعقلاً، فتعلم الرسم ومارس التمثيل وحاول دراسة الحقوق وهوي التصوير الفوتوغرافي وركوب الدراجات وامتطاء الخيل، وسعى إلى معرفة متينة بالفرنسية ليقرأ جهابذتها.

سحرته الفلسفة الهندية، وسرقت النوم من عينيه العلوم البيولوجية والسيكولوجية والجيولوجية وحياة النباتات. وعلى الرغم من ذلك بقي فيلسوف الفريكة مريضاً بذاك الداء النبيل الذي لا شفاء منه، مصراً على أنه التلميذ الأبدي لهذا الكون اللانهائي البوح. وإن كانت العربية، اليوم، مضطهدة ومتروكة لمصيرها الأليم فلأن فضول الريحاني ما يزال نادراً، بل نادراً إلى حد مفجع.

الريحاني والكاتب الأميركي رسل ميلورد في أتلانتيك سيتي، نيوجيرسي، ١٩١١.



الرحلة العودة

بقلم الأستاذ أمين ألبرت الريحاني

كطائر اللقلاق في موسم الهجرة العائدة. كنبع الينابيع تعود إليه المياه بعد زمن العطش القديم. كسحابة مسافرة باتجاه معاكس، كإسراء الذات عبر الذات ومعراجها القدسي نحو لون التراب الأول ونحو نقاء الأنفاس الأولى... هكذا كانت البداية الثانية، موشحة بلبوس العودة إلى الأرض القديمة واكتشاف مسام الجسد الفتي الآتي من خلف الأيام الهرمة والمثقلة بأعباء التاريخ.

كان ذلك منذ مئة عام، يوم أبحر أمين الريحاني من شواطئ تمثال الحرية باتجاه الشرق. لم يكن يدري يومها أن تلك الرحلة العكسية، ستقود البوصلة إلى صراطها المستقيم. لم يكن يدري أن نجم الطريق سيكون دليله من جديد نحو قشرة الذات القديمة هذه المرة، نحو الأنا المكابرة، المتخفية حيناً والمكتشفة ذاتها كل حين.

إنها الرحلة الرمز. إنه الإبحار نحو الرؤية المشرقية. والتحول نحو نبع الينابيع، نبع الحقيقة التي تطل ولا تطل، تأتينا ولا تأتي. لم يدرك الريحاني يومها أن سفرته تلك كانت علامة فارقة في تاريخ تسفاره الروحي والعقلي والجغرافي. لم يدرك يومها أن ذاك الرحيل المميز كان بداية لترحاله المستديم في عوالم الكشف الإنساني والرؤى الكونية الآتية. لم يع آنئذ أن عودته إلى لبنان هي عودة النار إلى جمرها، والشعاع إلى صباحه، والنسغ إلى صنوبره، والمسك إلى ساقيته، والماء إلى نبعه، والهدير إلى نهره، ورائحة التراب إلى ترابها... هي عودة أمين الريحاني إلى أمين الريحاني.

تلك العودة قادت الريحاني للتعرف إلى أمهات المصادر التراثية العربية أمثال القرآن الكريم و**نهج البلاغة** ولزوميات المعري والنتاج الشعري لابن الفارض وابن عربي وسواها من عيون الآداب العربية التي غرف الريحاني من معينها فاكتنز زاده الفكري واستقام قلمه العربي واتسعت رؤاه المشرقية فتكاملت معالم الصورة الحيوية النابضة بأبعادها الوطنية والقومية التي آل إليها أمين الريحاني.

في تلك الفسحة الزمنية التحولية كان تفاعل الريحاني مع اللغة العربية تفاعلاً حاسماً. فبعد أن تعلمها وأتقنها في مدرسة قرنة شهوان لم تعد العربية غريبة على لسان الريحاني ولم تعد هجينة على مداد قلمه. صارت جزءاً لا يتجزأ من كينونته والصيرورة. صارت إسراءه الإبداعي ومعراجه إلى الفكر المتفتق والقلم المتنامي. في تلك الفسحة الزمنية دخلت العربية بهو الريحاني لتزدهر وتنمو في دوحته وتعطي لأمته نتاجه الأدبي المميز.

ولمزيد من الفهم لتلك العودة الأولى من

الولايات المتحدة إلى لبنان. ولمزيد من استيعاب تلك العودة الرمز، عودة أحد أعلام الفكر العربي المعاصر من ديار الاستطيان إلى ديار الوطن يأتي السؤال باتجاه معاكس: ماذا لو لم يعد الريحاني آنذاك إلى لبنان؟ ماذا لو بقي بعيداً عن وطنه في الأرض الجديدة؟ من يدري؟! ربما كان للصوت أن يختنق، أو للنهر أن يجف، أو للضياء أن يخفت فيتراجع حتى يزول. وفي أفضل الاحتمالات لربما ظل الصوت صارخاً، والنهر متدفقاً، والضياء ساطعاً، ولكن بلغة يتقنها العم سام ويتقن معها اصطياد المواهب، واصطياد الفرص. فما كان للريحاني عندئذ إلا أن يكون لغير لبنان ولغير دنيا العرب. وماذا ينفعنا بعدئذ لو ربحنا العالم وخسرنا أنفسنا؟



العائلة الريحانية في نيويورك، ١٨٩٨. جلوساً (من اليمين إلى اليسار): الوالدة أنيسة، الشقيقة أدال، الوالد فارس، وقوفاً (من اليمين إلى اليسار): الشقيق يوسف، الشقيق أسعد، الشقيقة سعدى، الأمين؛ (الشقيق ألبرت لم يكن قد ولد بعد).

الريحاني

اسم أسرة من الأسر المسيحية في الفريكة بقضاء المتن، عربي منسوب إلى الريحاني وهو نبات طيب الرائحة، ذكر الريحاني في كتابه **قلب لبنان** (ص ٩١) سبب تسمية الأسرة بهذا الاسم وتحدث عن أصولها، فذكر أن أصل الأسرة من بجّة في بلاد جبيل، ومنذ ثلاثمئة سنة انتقل جد العائلة من بجّة إلى بيت شباب، وبعدها بمئة سنة انتقل الخوري باسيل عبد الأحد سعادة البجاني من بيت شباب إلى الشاوية فبنى لنفسه قلاية (مسكن الأسقف ومعبده) في ناحية يكثر فيها الآس ويسمونه في الجبل الريحان، فقال الناس: قلاية الريحاني، ثم نسبنا إليه فقالوا: بيت الريحاني. وأشهر من أنجبته هذه الأسرة الأديب المعروف في سائر الأقطار العربية أمين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠م) صاحب **ملوك العرب** و **تاريخ نجد الحديث** و **قلب لبنان** و **قلب العراق** وغيرها وهو كثير، وشقيقه ألبرت ريحاني (ت ١٩٩٥م)، ونجله الأديب أمين ألبرت ريحاني. وفي الطيبة وكفرصير أسرتان شيعيتان تحملان هذا الاسم لا نعرف شيئاً عنهما.

أحمد أبو سعد، **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**، دار العلم للملايين، ط ١ ١٩٩٧، ص ٣٧٣.

لوادي المنيف



دارة آل الريحاني في الفريكة.

وادي الفريكة مهيبٌ أكثر منه جميل، عميق ملتو ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه في نهر الكلب. هو صغير ولكنه كثير الزوايا والأسرار يجمع بين الدلب الذي لا يعيش إلا بالقرب من الماء والصنوبر الذي يكتفي بمشاهدة البحر من أعالي الجبال. وفي الشتاء تنثر الطبيعة تحت قدميه أزاهر الدفلى وتكلل رأسه في الربيع وفي الصيف بأزاهير الوزّال. ومع هذا الجلال والدلال تراه حاملاً على منكبيه كثيراً من الأطواد التي تخضع صاغرة تحت قدمي صنين. نعم إن ملتقى الجبال على منكبي وادي الفريكة. هنالك تعانق جبال القاطع جبال كسروان ومن أعطافها تتدفق في الشتاء المياه التي تجري في نهر الكلب. هنالك تمتد الأعناق وتنحني الرؤوس وتضغط الخدود بعضها على بعض. وفي الصباح قبل أن يغيب القمر وتشرق الشمس تتلألأ فوقها إلهة الحب لتباركها إلى الأبد، تشرق الزهرة من وراء جبل صنين وترسل أشعتها الباهرة فوق الجبال التي يعانق بعضها بعضاً عناقاً أبدياً على منكبي وادي الفريكة.

أمين الريحاني

الخطوط بريشة علي عاصي
التأليف الإخراجي صنعة عصام السبع

كان الفراغ من صناعة هذا الكتيب في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٩٨



كان الرهان الا يفوتنا الاحتفال بالذكرى المئوية الأولى على عود الريحاني على العربية في عامها (١٩٩٨). وفي سبيل ذلك، كان لا بد من أن تتوفر لهذه النية الأسباب المادية والمعنوية التي تتيح لها ان تتحقق على نحو ما تمثل في هذا الكتيّب - الذي يوافقُ صدورُه معرضَ الكتاب العربي والدولي الثاني والأربعين - وفي جناح دار الجديد بالمعرض المذكور حيث تُحيّا المناسبة إيّاها باستعادة مجموعة من الصور تؤرّخ لأبرز المحطات في حياة الريحاني.

وبطبيعة الحال، ما كان لهذه الأسباب المادية والمعنوية أن تحضر من تلقاء ذاتها؛ فلهؤلاء الذين وفَروها نشكر: وأقلّ الشكر الذّكرُ:

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز
الرئيس العام لرعاية الشباب في المملكة العربية السعودية

الأستاذ عبد الله الشهيل
المدير العام للأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية

الأستاذ أمين ألبرت الريحاني وعائلته

أصحاب الشهادات

النادي الثقافي العربي

(مع حفظ الألقاب)

أحمد برجاوي، إيلي تابت، عبد اللّه التعزي، حاتم الحاج حسن، عدنان حمود، جمال الدسوقي، جاكو رستكيان، عصام السبع، يوسف وزها صقر، علي عاصي، محمود عساف، جهاد فاضل، غاندي المهتار، ميشال نوفل، شوقي يوسف.




إن للشهرة يوماً
وللحزن يوماً
والباقي للبنان
أمين
الجابي